

معوّقات التنمية الحضرية في الجزائر. Obstacles to urban development in Algeria

أ. بوزيدي سليمان
جامعة حسيبة بن بوعلي (الشلف)

الملخص:

لقد أدّى النزوح الريفي إلى كثرة الطلب على متطلبات الحياة الحضرية، و يعد هذا المتغير هو أساس التنمية الحضرية و الاجتماعية و الاقتصادية في المدينة، و من هنا فإنّ النمو المتسارع للمدينة زاد من اتّساع رقعة التنمية الحضرية فيها، حيث أصبحت محاولة تجسيدها واقعا أمرا صعبا بالنظر إلى أبعاد التنمية البيئية و الاجتماعية و الاقتصادية و العمرانية. من هذا المنطلق نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على التنمية الحضرية و المعوّقات و المشكلات التي تقف حجر عثر أمام تنمية المدن الحضرية.

Abstract :

Rural exodus has led to heavy demand for urban life requirements, and the longer this variable is the basis of urban and social and economic development in the city, and from here, the rapid growth of the city has increased the expansion of urban development, in terms of trying to embody actually become difficult in view environmental and social development, economic and Alamranih.mn this point we are trying dimensions in this study shed light on urban development and the obstacles and problems that stand stone was found in front of the urban development of cities.

مقدمة:

ظهر مفهوم التنمية الحضرية انطلاقاً من النصف الثاني من القرن العشرين في العديد من الدول المتقدمة (بريطانيا، ألمانيا، إيطاليا، هولندا..). ففي فرنسا مثلاً ظهر استعماله منذ بداية السبعينات موازاة مع اعتماد الدولة لنظام اللامركزية. فالتنمية الحضرية تطورت بفعل التحولات التي أصبحت تعترى المدن على مستوى تطور وتزايد السكان في هذه الدول وكذلك التوسع المهم الذي عرفته الحواضر الكبرى، الشيء الذي كان يتطلب مدّها بمزيد من المشروعات التكنولوجية والصناعية والسياحية والخدمات الاجتماعية بما يضمن إطار حياة أفضل وجيد السكان، ويساهم في الرقي بالمستوى الحضاري والثقافي والاقتصادي لهذه المدن، وهذا ما يدفعنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة و التي من خلالها نتعرّف على طبيعة هذا الموضوع و هي كالآتي:

- فما مفهوم التنمية الحضرية ؟
- وماهي أهم المعوقات والإشكالات التنموية والتحديات التي تعاني منها المدن الجزائرية؟
- و ما طبيعة هته المعوقات و الإشكالات التي تواجه عملية التنمية الحضرية بالمدينة الجزائرية؟
- هل ترجع هته المعوقات إلى عدم الاهتمام بالتنمية الحضرية من الجوانب المختلفة (الاجتماعية، النفسية، الثقافية، الإدارية و الديموغرافية)؟

مفهوم التنمية الحضرية

أولاً: التنمية Développement

أ. مفهوم التنمية:

عرف مفهوم التنمية إلى حدود 1960 استقراراً في المعنى و الأهداف و الأبعاد. فيما قبل كان مبدعيه من الدول الغربية يفكرون في كيفية توزيع خيارات التنمية على بلدان العالم، و بذلك ارتكز المفهوم على توزيع المساعدات المادية، ليتم إدخال بعض التجديدات حتى أصبح مرادفاً للنمو الاقتصادي و مع مرور الوقت أدخلت الدول الرأسمالية تغييرات اسمية على المفهوم، حيث أصبحت تنعت التنمية بأسماء: كالتنمية الاقتصادية، و التنمية الثقافية.

يشير أجدن Agden أن هذا المصطلح لا يعني نفس الشيء لدى من يستخدموه في دراساتهم و لقد أدى بيعض الدارسين مثل: "آرين ساندر" Sander.A إلى القول في بعض المواقف " إنني سوف لا أحاول إعطاء تعريف محدد و دقيق لهذا المصطلح لكنني أفضل أن أترك هذا المصطلح المعني ما يعنيه على حسب ما يريد كل دارس." (1) وتعتبر التنمية مفهوم عام معنوي يمكن تحديده في المجال السوسيولوجي بأنه عملية دينامية تتكون من سلسلة من التغيرات الهيكلية الوظيفية للمجتمع و تحدث نتيجة للتدخل في توجيه حجم و نوعية الموارد المتاحة و التي تتكون عن طريق زيادة فعالية أفرادها في استغلال طاقات المجتمع إلى الحد الأقصى.

و يعرف الدكتور **الجوهري**: التنمية بأنها عملية تتطوي على تغير حاسم في كل مجالات القدرات الإنسانية و النشاط الإنساني (مجالات روحية، فكرية، تكنولوجية، اقتصادية واجتماعية) وهي في رأيه تتطوي على توظيف جهود الكل من أجل صالح الكل خاصة تلك القطاعات و الفئات الاجتماعية التي حرمت في السابق من فرص النمو و التقدم، كما لا يختلف **سعد الدين إبراهيم** كثيرا عن تعريف مفهوم التنمية عن الجوهري حيث يعني به اتساق و نمو كل الإمكانيات و الطاقات الكامنة في كيان معين في شكل كامل و شامل و متوازن، سواء أكان هذا الكيان فردا أو جماعة. (2)

لقد نتج عن تطور مفهوم التنمية كثرة الدراسات و الأبحاث بخصوص التنمية، إلا أن ذلك لم يفضي إلى أشياء جديدة تبين نمط التنمية التي يجب نهجها و الأهداف الحقيقية للتنمية و غاياتها. تشمل التنمية في آن واحد الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي و الثقافي. و هي كذلك تلك العملية التي يناقش من خلالها أهالي المجتمعات الصغيرة حاجاتهم و يرسمون الخطط المشتركة لإشباعها (3). و يقول: "رينيه ريبو" أن التنمية هي حصيلة التأثير المتبادل من الرصيد البشري غير القابل أصلا للتحويل و الغني بالمصادر غير المستثمرة من البيئة الكلية و تستمر في تطورها بفضل إدماج القوى الطبيعية بالفعاليات البشرية. (4)

و التنمية على حسب **سميرة كامل محمد** هي تحقيق التوافق الاجتماعي لدى أفراد المجتمع مما يعنيه هذا التوافق من إشباع بيولوجي و نفسي و اجتماعي. (5) فنجد أن التنمية حسب هذا التعريف وسيلة لتحقيق التوازن على لصعيد جميع المستويات التغير الاجتماعي الذي حدث بفعل النمو الاقتصادي و مآصله من تحولات مختلفة مست جوانب عدة من حياة الأفراد، الأمر الذي يستدعي بالضرورة إيجاد نوع من التوازن بين الفرد من جهة و هذه التحولات من جهة أخرى.

أما عالم الاجتماع الفرنسي: **جانبولال لوبرا** يعرف التنمية ليست عملية أو ظاهرة اقتصادية صرفة، وإنما هي مجموعة من الظواهر ذات طبيعة سوسيولوجية و نفسية و بيولوجية بمعنى أن عملية التنمية عملية مركبة و معقدة في ذات الوقت تحتاج إلى فهم سلوك الأفراد، وما تمّ بينهم من علاقات و ما يترتب عن هذه العلاقات من أنظمة تتدخل في تفاعلها و في تأثيرها على جوانب المجتمع المختلفة. (6)

و يعرف البعض التنمية بأنها التطور بينما ينظر الآخرون إليها باعتبارها عملية متعددة الجوانب ، تشمل تغييرات أساسية في البنية الاقتصادية و الاجتماعية و الاتجاهات التي تتبنّاها المؤسسات العمومية في الإنتاج و الخدمات و ترمي لزيادة النمو الاقتصادي و التقليل من عدم المساواة و التخلص من الفقر، و من ثم فقد لا يحقق النمو الاقتصادي التنمية المنشودة.

- التنمية هي التحريك العلمي المخطط من العمليات الاجتماعية و الاقتصادية من خلال إيديولوجية معينة لتحقيق التغير المستهدف و الانتقال من مرحلة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها.

- التنمية هي الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانيات البشرية و المادية المتاحة في وسط اجتماعي معين، بقصد تحقيق أعلى مستويات من الدخل القومي و الدخل الفردية و

مستويات أعلى للمعيشة و الحياة الاجتماعية في نواحيها المختلفة، لتحقيق مستوى أعلى من الرفاهية الاجتماعية.

- التنمية هي عملية سياسية وفكرية، عملية تغيير الإنسان من أجل الإنسان، لذا فهي في حاجة إلى قيادات فكرية، و نخب اجتماعية لها رؤية واضحة في أمور الانحطاط و الرقي.

يتضح من خلال التعاريف السالفة الذكر أن التنمية ليست بعملية تخطيط اقتصادي أو إحداث نمو في قطاع ما. بل هي مسلسل شامل وعمل متناسق و متشابك يتناول كل مقومات الحياة البشرية، و يستجيب لمطالب عامة السكان.

-أما مصطلح التنمية عامة يطلق عليه التقدم و ينظر إليه باعتباره يحقق نوعا من التوازن الداخلي و الكفائية ، و يخلق قوة دفع ذاتية تحقق أهدافا معينة تتمثل في الاستهلاك الكبير و الكم المتنوع من السلع والخدمات من خلال الاقتصاد المفتوح.

و التنمية مفهوم نسبي فالدول الأحسن تنمية هي النموذج الذي تقاس عليه التنمية على غرار الدول الأقل تنمية و مثال ذلك أن الدول المتخلفة لم تستطع تاريخيا تحديد معنى التنمية ، و من ثم استخدمت مقاييس سائدة في المجتمعات الأكثر تقدما لتقييم ذاتها تنمويا⁽⁷⁾.

ب.أهداف التنمية:

أول أهداف التنمية هو إدارة عمليات التغيير الاقتصادي لتحسين أحوال الناس ، و الرفع من مستوى معيشة الفرد بزيادة دخله ، وإشباع حاجاته الأساسية ، ولا شك أن هذا الأمر يتعلق بالخصائص الحضرية للأفراد ففي المراحل الأولى من سلم التطور و عند الجماعات البدائية تتدنى هذه الحاجيات بحيث تقف عند حد حفظ الحياة بالحصول على الغذاء و الماء و لإيجاد المأوى فهي إذن حاجات كفاف و لا أكثر من ذلك أما في المجتمعات المتقدمة فتصبح المسألة أكثر تعقيدا و يسعى الأفراد للحصول على الميزات النسبية التي بلغتها المجتمعات التي تبعد عنهم آلاف الكيلومترات فالفرد الأمريكي تختلف حاجاته عن الأسترالي و الهندي و دواليك .⁽⁸⁾

ج.أنواع التنمية: هناك عدة أنواع من التنمية نذكر من بينها:

ج.1- التنمية البشرية: أن هذا النوع من التنمية له علاقة بمفهوم تنمية الموارد البشرية في المجتمع من حيث تحقيق التوازن بين مخرجات التعليم والتدريب وفرص العمل المتاحة في المجتمع. إذن فالتنمية البشرية يمكن اعتبارها " المجال الذي يؤدي إلى رفع الكفاءة العملية للموارد البشرية.

ج.2-التنمية الاجتماعية: أن هذا النوع من التنمية له علاقة بمفهوم تنمية المجتمع من حيث تحقيق التوازن الاجتماعي. إذن فالتنمية الاجتماعية يمكن اعتبارها السياق الذي يؤدي إلى رفع مستوى عيش السكان، الذي يضم : التغذية و الصحة و العمل...⁽⁹⁾ .

ج.3-التنمية المستدامة أو المستديمة : تعني تنمية تستجيب لحاجيات الأجيال الراهنة دون تعريض للخطر قدرة الأجيال اللاحقة للاستجابة لحاجياتها أيضا. وللتنمية المستديمة ثلاثة أبعاد:

البعد البيئي: تطرح التنمية المستدامة مسألة الحاجات التي يتكفل النظام الاقتصادي بتلبيتها، لكن الطبيعة تضع حدودا يجب احترامها في مجال التصنيع. لأن البيئة تتأثر وتتأثر، فهي عنصر أساسي للتنمية

البعد الاقتصادي : يعني الانعكاسات الراهنة و المقبلة للاقتصاد على البيئة. وتتمثل أهدافها الرئيسية في:

أ. توفير فرص وظيفية.

ب. زيادة النمو الاقتصادي بحجم أكبر من زيادة النمو السكاني.

ج. تنويع مصادر الدخل.

البعد الاجتماعي: إنه البعد الإنساني، يجعل النمو وسيلة للالتحام الاجتماعي.

ج.4- التنمية الاقتصادية: هي تنمية اقتصادية قوى الإنتاج التي تكون عمل الإنسان و قواه الإنتاجية. و هذه التنمية تتطلب إعادة إنتاج متنامي لعناصر الإنتاج و الحاجيات الاستهلاكية، و تتطلب كذلك تراكما في رأس المال.

ج.5- التنمية القروية: يطلق عليها كذلك اسم التنمية الريفية. يصعب وضع تعريف عالمي لهذا الصنف من التنمية، و ذلك بسبب اختلاف آراء الجغرافيين و المهتمين حول تعريفها. وعلى أي حال فالتنمية القروية مفهوم مركب و معقد، لا يشمل جانبا واحدا أو مجالا اقتصاديا محضا. بل إنه يشمل كل جوانب الحياة الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و المحلية. بمعنى أنها :

1- تعني تحسين ظروف عيش السكان و تطوير مهاراتهم التقنية و المعرفية.

2- تحسين وضعيتهم الاجتماعية (التعليم والصحة).

3- تمكينهم من الاستغلال الرشيد للثروات الطبيعية المحلية. مع ضرورة تثميرها.

4- ضمان استدامتها للأجيال اللاحقة. مما يجعل التنمية القروية تختلف في أهدافها و أبعادها عن مختلف أنواع التنمية الأخرى خاصة التنمية الزراعية، إلا أنهما ترتبطان بعلاقة جدلية. فلا يمكن تحقيق التنمية القروية بدون وجود التنمية الزراعية .

و رغم ذلك تبقى التنمية الحضرية أساس التنمية بالمدن، لأنها تركز على مقارنة مجالية شمولية تعالج قضايا المجتمع و الاقتصاد الحضري. و تعني التنمية الحضرية كذلك التحسين الكيفي (النوعي) للأنشطة الاقتصادية الممارسة في المجال الحضري. فما مفهوم الحضرية ؟

ثانيا: الحضرية Urbanité

أ. مفهوم الحضرية:

إن كلمة الحضرية Urbanité هي مشتقة من الكلمة اللاتينية Urbanitas و التي تخص الحياة في روما لتتوسع لتمييز ما هو خاص بالمدينة باعتبارها وحدة مجالاتها المعقدة، حيث نجد أن **بلزاك** هو الذي استعملها لا ليبدل على آداب القدامى بل بصفة عامة على كل أشكال الآداب و التهذيب فيما يخص التعامل مع الآخر. (10)

كما أن هذا المفهوم لقي اهتمام الكثير من علماء الاجتماع الذين يعرفونها على أنها: "احترام القواعد التي تنظم الحياة في المجتمع" هذا الاحترام يقضي إلى معرفة حسن العيش (Le savoir vivre) معا في الفضاء العام و الخاص ومن بين الباحثين الذين تطرقوا لمفهوم الحضرية نجد الأستاذ الدكتور عبدالقادر لقجع * Lakjaa . A في إحدى مقالاته⁽¹¹⁾.

إن الحضرية هي مختلف مجموعة العلاقات التي ينسجها المدنيون مع بعضهم البعض من خلال المدينة. فالحضرية حسب جاك ليفي Jacques Lévy متعلقة بالمدينة لا تفهم مثل الفضاء الاجتماعي فحسب بل تفهم كبنية مادية معقدة بمعنى أنها تزوج بين الكثافة و التنوع في حاجات المجتمع للفضاء. أما لويس وورث Louis Wirth عرّفها في مقاله المنشور سنة 1945 بأنها نمط الحياة.

(Urbanité comme mode de vie)

أما Grafmeyer.Y الذي يرى أن الحضرية:

- كبنية مادية. - كتنظيم اجتماعي. - كمجموعة الأفكار و السلوك

- كمجموعة أشخاص يتداخلون في أشكال نموذجية لسلوكات جماعية.

فمن هنا تفهم الحضرية على أنها ليست فقط الأسلوب الخاص الذي تتسم به الحياة في المجتمع الحضري المحلي و إنما كنمط لتكوين الرابط الاجتماعي داخل فضاء و عبر زمان.⁽¹²⁾

فمصطلح الحضرية يسمح بفهم التغير الاجتماعي من خلال البعد الفضائي بدون أن ننسى أن المسألة الاجتماعية تلتحم مع مسألة التحضر بمعنى أن هناك علاقة وطيدة بين ما هو اجتماعي و ما هو حضري أي أخلاقيات التحضر (éthique urbaine).

ثالثا: التنمية الحضرية

أ. مفهوم التنمية الحضرية

هي عملية تطوير المجتمعات الريفية إلى مجتمعات حضرية كما تشير كذلك إلى نشأة المجتمعات الحضرية ونموها، وتشير التنمية الحضرية كذلك إلى زيادة كثافة السكان بما يتعدى 2000 نسمة في الكيلو متر مربع ، وكبر حجم المدينة بما يزداد عن 10000 نسمة واشتغال الأفراد في الإنتاج ، وتوزيع التكنولوجيا وسيادة المهن التجارية والصناعية والخدمات ، ووجود درجة عالية من تقسيم العمل والتعدد الاجتماعي وتنظيم التفاعل الاجتماعي ، وترتبط التنمية بنمو الدولة ونمو وتنسيق الضبط الاجتماعي الذي لا يقوم على الاتجاهات الاجتماعية الايكولوجية والثقافة التي تؤدي إلى تنمية المدن .

وتعنى التنمية الحضرية كذلك التغيرات الموجهة التي تعترى المدينة أو تشمل هذه التغيرات المساكن وبناء العمارات الشاهقة وإنشاء الشوارع والأحياء وغرس الأشجار⁽¹³⁾.

فقد تم تعريفها أيضا على أنها عملية تستهدف تطوير المجتمعات القروية إلى مجتمعات حضرية، كما تسعى إلى تطوير المدن عبر تزويدها بكل الخدمات المرفقية (النقل، الطرق، ماء الشروب، الإنارة

والتطهير..). وهناك من يصفها على أنها الرؤية المستقبلية لتطوير العمران وتطوير المواصلات ومواجهة التحديات الاقتصادية والسكانية والبيئية التي تحتاج للتنمية المستدامة.

وتعرف التنمية الحضرية بأنه مجموعة من العمليات التي تعلم الاعتماد على النفس وتعبئة كافة الإمكانيات والطاقات والقوى وتحديد لأوجه التقدم استراتيجيا وتكنولوجيا على ضوء التفاعل بين الطاقة الوظيفية منطور أليها في تطويرها من ناحية و بين القوى المعاصرة والضاغطة وكذا الواقعة لنا في عالم متغير من ناحية أخرى (14) .

والمقصود بالتنمية الحضرية كمفهوم هو أنها: " عملية تطوير المجتمعات الحضرية التي تزداد كثافتها السكانية، ويتسع حجم مدنها، من خلال إنشاء مشاريع ومخططات بهدف اشتغال الأفراد في شتى القطاعات، وتوزيع التكنولوجيا وسيادة المهن التجارية والصناعية والخدمات، قصد تحقيق الرفاهية والرفي اجتماعيا واقتصاديا بالمدن، والحفاظ على هويتها وتاريخها وتطويرها على المستويات الهندسية والمعمارية والجمالية."

وترى منال طلعة محمود إن التنمية الحضرية تمثل عملا جماعيا تعاونيا ديموقراطيا يشجع مشاركة،المواطنين وتشير هذه المشاركة وتنظمها وتوجهها نحو تحقيق وأحداث التغيير الاجتماعي المطلوب بقصد نقل المجتمع الحضري من وضع اجتماعي معين إلى وضع أفضل منه ورفع وتنسيق مستوى معيشة الناس اقتصاديا واجتماعيا (15).

ويعرف "حسين عبد الحميد رشوان" التنمية الحضرية" أنها عملية نشأة المجتمعات الحضرية ونموها وتطوير المجتمعات الريفية إلى حضرية ، والتغير الموجة الذي يعتري المدينة ،من حيث ازدياد الكثافة السكانية ،والاشتغال بإعمال غير زراعية وبدرجه عالية من التقسيم العمل والتعقيد الاجتماعي ، وفي ضوء الضبط الذي لا يستند على أسس قرابية ،وكذلك تجديد وإقامة المباني ،والتغير الجوهري في استخدام الأرض (16).

وبناء على ذلك فالتنمية الحضرية هي مجموعة من العمليات التي تسعى إلى إحداث التغيير في بنية المدينة عبر تأهيلها وتوفير كل الخدمات الأساسية والبنى التحتية التي تحتاجها مما يساعد على التخفيف من حدة مشاكلها و اختلالاتها المتعددة.

ومن الناحية النظرية، فالتنمية الحضرية أداة عمل تتميز بالمرونة والنظرة الشمولية عوض النظرة القطاعية، وإنجازها يتطلب التشاور وإشراك كل الفاعلين والمهتمين بقضايا المدينة، وتخضع للتوجهات العامة الواردة في المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية وتصميم التهيئة.فالتنمية الحضرية هي عملية نشأة المجتمعات الحضرية و نموها و تطوير المجتمعات الريفية إلى حضرية.(17) .

ب.ابن خلدون والتنمية الحضرية:

يعتبر ابن خلدون Ibn Khaldoun من المفكرين المسلمين الأوائل الذين درسوا الظاهرة الحضرية واعتبروا المدينة كبنية اجتماعية في تطور دائم. وهكذا، يرى هذا العلامة إن الإنسان حضري بطبعه، وأن

المدينة هي نتاج تواجد لأعداد من السكان ضمن علاقات اجتماعية، كما يعتبر أن المدينة أو العمران الحضري كما يسميها ابن خلدون، هي في الواقع أعلى درجات التحضر التي يمكن لشعب ما بلوغها، حيث يرى أنه كلما كبر حجم السكان كلما ازدادت رفاهية الأفراد وتجاوز مستواهم المعيشي ورخائهم، مستوى مدينة ذات حجم سكاني أقل، وبالتالي فهو يعتبر أن سكان المدن الصغيرة تكون في الغالب في وضعية تنموية ضعيفة والملاحظة ذاتها يبيدها بالنسبة لسكان الأقاليم الريفية⁽¹⁸⁾. فابن خلدون يركز على الحجم والقوة في إنتاج مدينة تجمع بين النمو والتنمية. هذه المقولات المشهورة لابن خلدون، هي المبادئ الأساسية التي اعتمدها في إبراز التباين بين مختلف مراحل تطور المدن، والذي يمر عبر سلسلة هرمية، والمستوى الحضاري للمدن الصغيرة والتجمعات السكانية الكبيرة وبين العاصمة ومدن الأقاليم المختلفة. ويمكن تلخيص وجهة نظر ابن خلدون بخصوص الظاهرة الحضرية في علاقتها بالتنمية كما يلي:

يقيم علاقة ارتباطيه بين البنية الحضرية والبنية الاجتماعية، وبالتالي فإن التنمية الحضرية تنعكس حتما على التنمية الاجتماعية. إن البنية الحضرية ترتبط أيضا بالوضعية الاقتصادية والتقدم المعرفي والتكنولوجي.

وهذه العلاقة السببية التي يقيمها ابن خلدون بين الفعل الحضري والفعل الاجتماعي منذ القرن الرابع عشر، أعاد التأكيد عليها المفكر الفرنسي؛ **هنري لوفافر (H.Lefevre)** حيث يقول: "أن المدينة هي عملية توطين مجتمع بثقافته ومؤسساته وقيمه وبنيته الاقتصادية وعلاقاته الاجتماعية، والتي تشكل في نهاية الأمر البنية الاجتماعية بمفهومها الواسع⁽¹⁹⁾."

وفي سياق آخر يرى **ابن خلدون** أن المدينة هي فعل سياسي بالأساس، لأنها من إنتاج الطبقة الحاكمة ويرتبط حياة المدينة بحياتها(المملكة).

كما تحدث ابن خلدون عن القواعد العمرانية للتعمير أو لقيام المدينة وهي:

- اختيار الموضع الدفاعي الجيد.

- اختيار موضع ذو مناخ ملائم للحياة.

- قرب الموضع من مصادر المياه والأراضي الفلاحية.

وفي الحقيقة يرجع الفضل لابن خلدون في تحليله للمدينة والظاهرة الحضرية، على اعتبار انه تحت عن المدينة في إطارها الإقليمي ولم يقتصر حديثه عن المدينة بمحيطها الجغرافي، فهو بالتالي يطرح منذ أكثر من سبعة قرون ضرورة التكامل بين الرؤية الإقليمية والرؤية الحضرية(التخطيط الإقليمي والتخطيط الحضري). كما يرجع له الفضل أيضا في تحليله للظاهرة العمرانية من خلاله البعد التاريخي وتطورها العمراني. وأخيرا يربط ابن خلدون المدينة بالريف عبر أبعاد تاريخية واجتماعية واقتصادية، جدية بالاهتمام والدراسة.

ومن هنا كانت التنمية الحضرية عند ابن خلدون مرتبطة دوما بمركبات ايكولوجية واجتماعية واقتصادية وثقافية، تشكل القاعدة الأساسية لها من خلال بعدين أساسيين ومرتبطين على الدوام؛ التنمية الفيزيائية

والتنمية الاجتماعية. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "الحفاظ على مراكز المدن بتاريخها الحضاري ونسيجها العمراني وتركيباتها الاجتماعية تكتب لها النجاح ولن يتحقق مالم تأخذ من البعد الاجتماعي خطا ومسارا لها". (20).

ج. المدينة و التنمية الحضرية:

كلمة مدينة مشتقة من كلمة تمدن، يتمدن، تمدنا، و مدينة و تعني تحضر عكس أو ضد القرية أو الريف، فالمدينة هي ظاهرة اجتماعية و هي ليست مجرد تجمعات من الناس، الشوارع... فهي عبارة عن مكان دائم للإقامة و يتميز نسبيا بالكبر و الكثافة، يسكنها أفراد غير متجانسين و هي عبارة عن مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن⁽²¹⁾، ولهذا فهي تعتبر منطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي المتميز على حد تعبير "بارك".

يعرف H. Lefebvre⁽²²⁾ المدينة بأنها انعكاس المجتمع في الأرض يغير من بنياتها الفوقية Superstructures وقاعدتها الاقتصادية و علاقتها الاجتماعية.

رابعا : أهم المعوقات الحضرية التي تعاني منها المدن الجزائرية .

إن معوقات التنمية الحضرية متداخلة و متشابكة الجوانب و متعددة و متباينة تبعا لظروف كل مجتمع و خصائصه و هته المعوقات ليست على درجة واحدة من التأثير على التنمية فإن لها أوزانها و تختلف من ناحية إلى أخرى و يمكن أن نشير إلى أهم هذه المعوقات كالاتي:

1. من الناحية الاجتماعية:

من العوامل الاجتماعية التي تعيق عملية التنمية الحضرية نذكر على سبيل المثال ،أولا: النظم الاجتماعية السائدة (نظام الملكية و القرابة) فنجد النظم الاجتماعية التقليدية تعتبر من أهم المعوقات التنمية الحضرية فرفض الأهالي للهيئات الحكومية و عدم السماح لهم بتنفيذ البرامج التنموية التي سطّرتها الدولة و التي تمس ممتلكاتهم قد ينتج عنه تعطيل و في بعض الأحيان إلى إلغاء البرامج و المشاريع المبرمجة في ذلك المجال. ثانيا: النظام السياسي الذي يلعب دورا أساسيا في عرقلة و إعاقة عملية التنمية الحضرية، كما يلعب دورا أساسيا من جهة أخرى في دفع عجلة التنمية و ذلك من خلال التخطيط الحضري السليم و التكامل و التنسيق من جهة أخرى و عدم تجاهل المشاركة الفعلية في برامج التنمية، إذ يسمح هذا الأخير بالتخطيط الصائب و الهادف و الموجه للمجتمع ككل، انطلاقا من ضرورة التكامل بين كل البرامج التنموية المسطرة على المستوى الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي و السياسي، و يكون هذا الأخير بمعونة الأهالي الذي يجب أن يتكيفوا مع القيم الجديدة. (23)

2. من الناحية النفسية:

يعتبر اختلاف إدراك الأهداف المسطرة للتنمية الحضرية بين كل من المخططين و المنفذين و أفراد المجتمع من المعوقات الأساسية للتنمية و التغير في نفس الوقت فواضعو البرامج و المشاريع التنموية، إذ يعتقدون أنها (البرامج و المشاريع) مفهومة و مقبولة من الأفراد التي وضعت من أجلهم فبعد مرور وقت من الزمن يتحولون الناس عن هذه المشاريع حجة عن إهمال الجانب الإنساني في هته الأخيرة (مشروعات التنمية) و الذي يمثل عقبة في نجاح المشروع المبرمج.

فإذا رأينا أن في كثير من المجتمعات النامية يتمسك الناس بالقديم و بكل ما هو سائد، كما تتميز مجتمعات أخرى بالنزعة إلى مقاومة التغيير كتصدي المجتمعات الصحراوية لكل ما هو جديد. (24)

وتتضح مشكلة إدراك الجديد في بعض البرامج و المشروعات المتعلقة بالتنمية الصحية مثلا حين يعاني فريق العمل في هذا المجال صعوبات كثيرة حيث يجدون من المقاومة أفراد المجتمع اتجاه الوحدات الصحية و المستشفيات أو وسائل العلاج الطبية الحديثة لوجود معتقدات راسخة في تفكيرهم من الماضي. فالإنسان هو غاية أي برامج تنمية و هو في نفس الوقت وسيلة من وسائل تحقيق أهدافها، و لذلك هو يعتبر عامل قوة و عامل ضعف لكثير من المشروعات و البرامج التنموية يكون مصدرها الإنسان نفسه. (25)

3. من الناحية الثقافية:

إن الثقافة تعبر عن ذلك الكل المعقد المركب من القيم و العادات و التقاليد و الأعراف و المعايير المتعارف عليها في المجتمع. فإن اتسامها بالانفتاح و المرونة و تكيفها مع المجتمع الحديث يؤدي بالضرورة إلى دعم سيرورة التنمية بمختلف جوانبها أما إذا اتسمت (الثقافة) بالجمود و عدم المرونة و عدم تكيفها مع المجتمع المعاصر، من قيم متجددة و عادات سلوكية فنجد أن هذا الجمود يؤدي بالضرورة إلى رفض التجديد و يؤدي بذلك إلى إعاقة عملية التنمية و يشجع على تعطيلها فالوعي الجماعي و ضرورة تقبل برامج التنمية كلها تؤدي إلى تقدم المجتمع المحلي، إذ يتم بذلك إتاحة الفرص للأهالي من أجل المشاركة في تخطيط و تنفيذ البرامج و العمل على إنجازها.

4. من الناحية الإدارية:

من أهم المعوقات التي تواجه التنمية الحضرية نذكر أيضا المعوقات الإدارية:

*التعقيد على مستوى الإجراءات و البطء الشديد في تنفيذ القرارات.

*انتشار اللامبالاة و السلبية و عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

*سيطرت العوامل الشخصية على علاقات العمل الرسمية و صعوبة التنسيق بين وحدات العمل الرسمية و الإدارية.

*تجاهل المشاركة الشعبية و خطورة عدم وضعها في الحساب سواء في مرحلة التخطيط أو التنفيذ.

*إنّ وضع الخطة و تنفيذها تعتبر قمة الممارسة الديمقراطية المتوازنة بجناحها السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و هذا هو جوهر عملية التنمية . (26)

*ضعف طرق وسائل الاتصال الكافية و الفعّالة بين المسؤولين و العمال داخل الوحدات الاقتصادية و الاجتماعية بين كل المؤسسات و الهيئات ذات العلاقة بمشاريع و خطط التنمية.

*نقص الأجهزة الفعّالة المتمثلة في أجهزة الرقابة و المتابعة و التنفيذ و التقييم.

*نقص القيادات الفعّالة و المتخصصة في تحريك الناس و توجيههم نحو الأهداف التنموية المشتركة لأن من دورها (القيادات) التوعية و الترشييد.

*عدم الاعتراف بدور المرأة الفعال و أهميتها على المستوى الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في المجتمع فهي جزء لا يتجزأ من عملية المشاركة في التنمية الحضرية في نطاق واسع.

5. من الناحية الديموغرافية:

إن عملية التنمية تقتضي تسطير برامج تنموية تقابلها برامج في تنظيم و تحديد النسل خاصة أن دول العالم الثالث تتميز بنمو ديمغرافي كبير و كثافة سكانية عالية و الذي أدى إلى عدم إمكانية تحقيق التوازن بين الموارد المتاحة و الإنتاج و متطلبات هذه الكثافة، هذا إلى جانب محاولة استثمار الطاقات البشرية خاصة الشباب إلى أقصى حد ممكن في تنمية بعض الجوانب الأساسية التي تتطلبها الظروف الخاصة بالمجتمع محل التنمية.

6. من ناحية التخطيط الحضري:

إن المدينة هي في الواقع نموذجا للمجتمع الحضري، حضيت منذ بداية إرساءها، بعناية خاصة من خلال آلية التخطيط بشكل عام والتخطيط الحضري بشكل خاص. ومن بين أكثر التعاريف تداولاً لمفهوم التخطيط الحضري⁽²⁷⁾ هو التطبيق الفعلي لرؤية معينة من أجل بلوغ أهداف محددة مسبقاً، ترتبط بنمو وتنمية المناطق الحضرية.

واختلفت التعاريف حول هذا المفهوم باختلاف المفكرين والمدارس، حيث يشير التخطيط الحضري إلى أنه محاولة لبناء إطار اجتماعي يسمح بنمو الشخصية الإنسانية بشكل متوازن. ويشير مفهوم آخر إلى ممارسة لإجراءات الضبط في استخدام الأرض داخل المدن والتجمعات الحضرية. كما يشير لويس كيب (Louwis Keebe) إلى أن التخطيط الحضري، هو علم وفن يتجلى في أسلوب استخدام الأرض، ويذهب "بوسكوف" إلى اعتبار أن التخطيط الحضري، هو عملية للتغيير الاجتماعي

ضمن إستراتيجية شاملة لحل المشكلات الحضرية. ويصنفه "الجن هونت" (E.Hunt) إلى أن التخطيط الحضري، يتناول شقين أساسيين؛ الأول علاجي والثاني وقائي. أما "روث جلاس" (R. Glass) فيرى أن مهمة التخطيط الحضري هي العمل على حفظ المعنى العام للتجمع الإنساني أو ما يطلق عليه بروح المجتمع.

1.6. التخطيط الحضري كمعوق للتنمية:

إن المعوقات التخطيطية في عدم الوضوح الهدف من التخطيط عند العاملين فيه أو التأثير به و عدم الدقة في اختيار الوسيلة المحققة للهدف و عدم القدرة على التحكم في الموقف المخطط له ،و عدم توفر الدراسات و البحوث و الإحصاءات عند الأجهزة المسؤولة خاصة على مستوى المجتمع لأن التخطيط يسهل تنسيق الجهود و العمليات الإدارية التي تقوم بها الأجهزة الحكومية لتنفيذ البرامج و المشروعات و يرجع سبب كون التخطيط كمعوق للتنمية الحضرية إلى مايلي:

1. 1.6. نقص الوعي التخطيطي:

تعتبر عملية التخطيط للتنمية الحضرية عملية فنية وواعية في نفس الوقت و يستلزم ذكر أن يكون القائمون عليها على درجة عالية من الوعي بأهميتها، كما يجب أن يقوم بنشر الوعي التخطيطي بين جماهير الشعب ليتقبل المنتجات الجديدة بالمجتمع و يعتبر نقص الوعي معوقا أساسيا للتنمية الحضرية⁽²⁸⁾

2. 1.6. نقص الإعلام المتخصص:

إن نقص الإعلام المتخصص في التنمية يجعل الكثير من المشروعات تتجزأ دون إجراء دراسات و مقاربات توجه عملية التخطيط لأن هذه الأخيرة ليست حكرًا على التنمية الحضرية.

2.6. التخطيط الحضري كما يجب أن يكون:

حتى يحقق التخطيط الحضري التنمية الحضرية بكل أشكالها ينبغي أن يعتمد على جملة من القواعد الأساسية والمبادئ الهامة⁽²⁹⁾:

- * أن يكون التخطيط الحضري مصدره الخطة المركزية العامة للمجتمع أي يندرج في إطار إستراتيجية عامة تهدف إلى تحقيق التكامل الاجتماعي والاقتصادي.
- * - أن تكون أجهزة التخطيط ذات طابع تطبيقي.
- * - أن تكون أجهزة التخطيط في المجتمع الحضري ذات مقدرة على الاقتراح، للاستفادة من الصراعات المحلية في اتجاه التخطيط المركزي.
- * - أن تعمل أجهزة التخطيط من أجل حسن تطبيق الخطة.
- * - أن تصبح أجهزة نوعية تضمن مشاركة المواطنين.
- * - أن تعمل هذه الأجهزة على التنسيق بين الخطط المختلفة في كل نواحي الحياة الحضرية.
- * - أن يكون في ذهن المخططين المحليين، أن رفاهية المجتمع المحلي جزءا من رفاهية المجتمع الكبير وأن الرفاهية العامة هي الغاية العظمى من كل تنمية حضرية في جميع المجالات.
- * - أن يكون لديهم الوعي الكافي بمبادئ المجتمع الكبير والفهم الحقيقي لإيديولوجية البلد.
- * - إن التخطيط لا يجب أن ينظر إلى المجتمع المحلي نظرة رئيسية فقط عند رسم السياسة.

*- أن يكون في ذهن المخططين، أن التخطيط الاجتماعي غاية كل تخطيط وأنه القاعدة التي ينبعث منها كل أنواع التخطيط. فإلى أي مدى يمكن الحديث عن تطبيق ما لهذه المبادئ الأساسية في سياسة التخطيط بشكل عام والتخطيط الحضري بشكل خاص في جزائر ما بعد الاستقلال؟.

1.6 دور التخطيط الحضري في التنمية الحضرية:

- يساهم هذا التخطيط في معالجة المشكلات الحضرية المحلية وحلها زمانا ومكانا اعتمادا على الإمكانيات المحلية. ويمكن إجمال الآثار الإيجابية للتخطيط الحضري على النحو التالي⁽³⁰⁾
- يعتبر التخطيط الحضري نموذجا للتجارب وسبيلا لمعرفة إيجابيات وتناقض التخطيط الإقليمي.
- يهتم التخطيط الحضري بالثقافات الفرعية.
- يساعد التخطيط الحضري على الاستغلال الأمثل للموارد والإمكانيات المحلية قصد تحقيق التنمية.
- يساعد هذا التخطيط على تنمية روح المسؤولية.
- يعني التخطيط الحضري بالحاجات الاجتماعية للمجتمع المحلي بصفة دقيقة ومفصلة.
- يساعد على تخفيض النفقات.
- يساعد على تدريب المجتمع على الحكم الذاتي.
- تحقيق نوع من الوقاية الجدية.

ولبلوغ أهداف التنمية الحضرية عبر ميدان التخطيط الحضري من خلال أدواته وآلياته في التهيئة والتعمير، لابد من الاعتماد على فكرتي العملية والبرنامج، من حيث أن مفهوم التنمية الحضرية (المحلية) ستحدث التغيير الاجتماعي والسيكولوجي والاقتصادي وهذا ببذل المجهود من أجل صياغة نظرية خاصة بتنمية المجتمع⁽³¹⁾

خاتمة:

وخلاصة القول أن مستقبل مجتمعا يكمن في مستقبل مدننا، وعلى هذا الأساس فإننا اليوم مدعوون للإجابة على التحديات اليومية المرتبطة بالعولمة والفعالية الاقتصادية والاندماج والتماسك الاجتماعي وتحسين الإطار المعيشي هذا من جهة و من جهة أخرى فإن التنمية الحضرية هي تنمية واسعة تتناول كافة القطاعات والجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الصحية، السيكلوجية، التنظيمية، الديموغرافية، الايكولوجية والنموذجية ومحاولة تحليل نمو التنمية الحضرية لابد أن يستوعب كل هذه الجوانب، وبالرغم من كل هذه المعوقات التي تواجه التنمية الحضرية في الجزائر إلا أنه يوجد طرق لمواجهة التحديات في هذه الآونة من خلال استراتيجيات التنمية على كافة الأصعدة وسن القوانين اللازمة التي تحمي المدن الحضرية و إعطاء الدور الفعال للفاعلين الاجتماعيين في المجتمع .

قائمة الهوامش:

1. نبيل السمالوطي، علم اجتماع التنمية، دراسات في علم اجتماعيات العالم الثالث، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1976، ص 107
2. محمد عبد المولى، العالم الثالث و نمو التخلف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982.
3. حسن علي حسن، المجتمع الريفي والحضري دراسة مقارنة مبسطة، المكتب الجامعي الحديث، 1989، ص.ص 311-312
4. وفيق أشرف سونة، معوقات التنمية في العالم العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 1981، ص 113.
5. سميرة كامل محمد، التنمية الاجتماعية مفهومات أساسية رؤية واقعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر ، 1984 ، ص 10.
6. سعد طه علام، التنمية و الدولة ،دار طيبة للنشر و توزيع التجهيزات العلمية ، القاهرة، دت، ص 213
7. محمد عبد الفتاح محمد، الاتجاهات التنموية في ممارسة الخدمة الاجتماعية أسس نظرية و نماذج تطبيقية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002، ص 186
8. منال طلعت محمود ، التنمية والمجتمع مدخل نظري لدراسة المجتمعات المحلية، المكتب الجامعي الحديث ، 2001 ، ص ص 69 – 70
9. محمد عبد الفتاح ، مرجع سابق ، ص 188
10. FRANCOISE CHOAY MERLIN ,Dictionnaire de L'urbanisme et de l'aménagement, Choay ;éd PUF, 2005, p926
11. (LAKJAA A, Les Périphéries oranaises, Les cahiers d'EMAM n°18, juillet 2009)
12. ARMEL HUET ,In revue des sciences humaines ,n°26, décembre 2006, p52
13. مقدم لندوة «التنمية الريفية» بمنطقة الباحة محافظة المنطق ،لبحث قضايا الجذب السياحي والاستثمار ومعوقات التنمية وهجرة السكان المنعقدة في 1430/8/20.
14. منال طلعت ، مرجع سابق ، ص 71
15. منال طلعت ، المرجع نفسه ، نفس الصفحة.
16. منال طلعت ، المرجع نفسه ، نفس الصفحة.
17. ماجدة علام، موضوعات في علم الاجتماع الحضري، المكتب الحديث، القاهرة، 2000، ص 183 .
18. MAJALLAT ET-Tarikh du centre national des études historiques, actes du colloque international sur Ibn Khaldoun, Alger 21-26 juin 1978, SNED, 1982, P: 99-102.
19. Ibid, P: 85-89.
20. http://digiurbs.blogspot.com/2012/12/blog-post_7.html

21. أمال لبعل، آلية التسيير الحضري والتنمية المحلية، حالة مدينة بسكرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص تنمية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2003-2004، ص 03.
22. Lefebvre H, le droit à la ville .suivi de Espace et politique, Ed, Anthropos, Pais, 1972
23. عبد الهادي الجوهري و آخرون ،دراسات في التنمية الاجتماعية : " مدخل إسلامي"، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة، 1984، ص 136.
24. خاطر، أحمد مصطفى ،تنمية المجتمعات المحلية : الاتجاهات المعاصرة، الاستراتيجيات، بحوث العمل وتشخيص المجتمع المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر ، 2005، ص 94
25. خاطر، أحمد مصطفى ،تنمية المجتمعات المحلية : الاتجاهات المعاصرة، الاستراتيجيات، بحوث العمل وتشخيص المجتمع المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر ، 2005، ص 52
26. عبد الهادي الجوهري و آخرون ،دراسات في التنمية الاجتماعية : مدخل إسلامي، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة، 1984، ص 113
27. عبد الهادي محمد والي، التخطيط الحضري، تحليل نظري وملاحظات واقعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ، 1983، ص 20.
28. إبراهيم عبد الهادي المليحي، العولمة و أثرها في التخطيط الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2005، ص 266
29. محمد علي محمد، دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1986، ص 299.
30. سميرة كامل محمد، التخطيط من أجل التنمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1997، ص 44.
31. رشاد أحمد عبد اللطيف، أساليب التخطيط للتنمية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص 86.

* Professeur, Sociologie, Université d'Oran, Algérie.